

تفسير البحر المحيط

@ 431 @ مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف وأنهم لا يضعون أسلحتهم فنزل { وَءَدَّ اللّٰهُ السّٰدِثِينَ ءَامَنُواْ مِّنْكُمْ } . وروي أنه عليه الصلاة والسلام لما قال بعضهم ما أتى علينا يوم نأمن من فيه ونضع السلاح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (: لا تغبرون إلا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبياً لسمعته حديدة) . قال ابن عباس : وهذا الوعد وعده الله أمّة محمد صلى الله عليه وسلم (في التوراة والإنجيل . والخطاب في { مِّنْكُمْ } للرسول وأتباعه و { مِّنْ } للبيان أي الذين هم أنتم وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر ويورثهم الأرض ويجعلهم خلفاء . وقوله { فِيْ الْاَرْضِ } هي البلاد التي تجاورهم وهي جزيرة العرب ، ثم افتتحوها بلاد الشرق والغرب ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم واستولوا على الدنيا . وفي الصحيح : (زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيلغ ملك أمتي ما زوي لي عنها) . قال بعض العلماء : ولذلك اتسع نطاق الإسلام في الشرق والغرب دون اتساعه في الجنوب والشمال . قلت : ولا سيما في عصرنا هذا بإسلام معظم العالم في المشرق كقبائل الترك ، وفي المغرب كبلاد السودان التكرور والحبشة وبلاد الهند . .

{ كَمَا اسْتَخْلَفَ السّٰدِثِينَ مِّنْ قَبْلِهِمْ } أي بني إسرائيل حين أورثهم مصر والشام بعد هلاك الجبابرة . وقيل : هو ما كان في زمان داود وسليمان عليهما السلام ، وكان الغالب على الأرض المؤمنون . وقرء { كَمَا اسْتَخْلَفَ } مبنياً للمفعول . واللام في { لَيَسَّتْخْلِفَنَّهٗمْ } جواب قسم محذوف ، أي وأقسم { لَيَسَّتْخْلِفَنَّهٗمْ } أو أجرى وعد الله لتحقيقه مجرى القسم فجوب بما يجاب به القسم . وعلى التقدير حذف القسم يكون معمول { وَءَدَّ } محذوفاً تقديره استخلافكم وتمكين دينكم . ودل عليه جواب القسم المحذوف . وقال الضحاك : هذه الآية تتضمن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ لأنهم أهل الإيمان وعمل الصالحات . وقال صلى الله عليه وسلم (: (الخلافة بعدي ثلاثون) انتهى . ونيدرج من جرى مجراهم في العدل من استخلف من قريش كعمر بن عبد العزيز من الأمويين ، والمهتدين بالعباسيين . .

{ وَلَيَسَّيْمَنَّكَ ذُنَّ لَهٗمْ } أي يثبتته ويوطده بإظهاره وإعزاز أهله وإدلال الشرك وأهله . و { السّٰدِثِ اَرْضَ تَضَى لَهٗمْ } صفة مدح جلييلة وقد بلغت هذه الأمة في تمكين هذا الدين الغاية القصوى مما أظهر الله على أيديهم من الفتوح والعلوم التي فاقوا فيها جميع العالم من لدن آدم إلى زمان هذه الملة المحمدية . وقرأ الجمهور {

وَلَا يَبْدُدُ لَذِّهِمْ ° { بالتشديد وابن كثير وأبو بكر والحسن وابن محيصن بالتخفيف . وقال أبو العالية : لما أظهر □ عز وجل رسوله صلى □ عليه وسلم) على جزيرة العرب وضعوا السلاح وآمنوا ، ثم قبض □ نبيه عليه السلام فكانوا آمنين كذلك في إمارة أبي بكر وعمر وعثمان حتى وقعوا فيما وقعوا فيه وكفروا بالنعمة ، فأدخل □ عليهم الخوف فغيروا غير □ ما بهم . .

{ يَعْْبُدُونَ } الظاهر أنه مستأنف فلا موضع له من الإعراب كأنه قيل : ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال { يَعْْبُدُونَ } قاله الزمخشري . وقال ابن عطية : { يَعْْبُدُونَ } فعل مستأنف أي هم { يَعْْبُدُونَ } ويعني بالاستئناف الجملة لا نفس الفعل وحده وقاله الحوفي قال : ويجوز أن يكون مستأنفاً على طريق الثناء عليهم أي هم { يَعْْبُدُونَ } . وقال الزمخشري : وإن جعلته حالاً عن وعدهم أي وعدهم □ ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحله النصب انتهى . وقال الحوفي قبله . وقال أبو البقاء : { يَعْْبُدُونَ } حال من { لَا يَسْتَدْخِلُونَ } و { * لِيَبْدُلَهُمْ } { يَرْبَهُمْ ° لَا يُشْرِكُونَ } بدل من { يَعْْبُدُونَ } أو حال من الفاعل في { يَعْْبُدُونَ } موحدين انتهى . والظاهر أنه متى أطلق الكفر كان مقابل الإسلام والإيمان وهو ظاهر قول حذيفة قال : كان النفاق على عهد النبي صلى □ عليه وسلم) ، وقد ذهب ولم يبق إلا كفر بعد إيمان . قال ابن عطية : يحتمل أن يريد كفر هذه النعم إذا وقعت ويكون الفسق على هذا غير مخرج عن الملة . قيل : ظهر في قتلة عثمان . .

وقال الزمخشري : { وَمَنْ كَفَرَ } يريد كفران النعمة كقوله { فَكَفَرَتْ ° بِأَنْعُمِ اللّٰهِ } { فَأُوْءِلِّدْكَ هُمْ ° الْفَاسِقُونَ } أي هم الكاملون في فسقهم حيث كفروا تلك النعمة العظيمة . والظاهر